قسم الفلسفة السنة الدراسية 2023-2024

المستوى السنة الثانية ليسانس

L.M.D S3

المقياس: الفكر الخلدوني

الأستاذ: قريمس فؤاد

المحاضرة الثالثة

العصبية ونشأة الدولة عند ابن خلدون

احتل موضوع الدولة حيزا هاما في فكر ابن خلدون وفي كتاباته، وفي كتاب المقدمة بالتحديد فهو قد خصص ثلث المقدمة من أجل الخوض في هذا الموضوع ، وأن مباحث الباب الثالث تتناول الدول العامة والملك والخلافة والمراتب، فالدولة كانت المحور الأساسي في الفلسفة الخلدونية ولكن ما يمكن التأكيد عليه هو أن ابن خلدون ورغم أنه يستخدم هذا المصطلح بشكل كبير في المقدمة الا أنه لم يقدم له تعريفا محددا وواحدا، فهي تظهر –أي الدولة_ عنده بمفهوم الملك تارة وتظهر أحيانا أخرى كمرادف للسلطان فهو حين يقول: "أن العمران كله من بداوة وحضارة وملك له عمرا محسوس كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمرا محسوسا) [1]

وتلعب العصبية أدوارا عدة في الحياة الاجتماعية وكذا السياسية فهي تحمل الأفراد على التعاضد فيما بينهم لأنه ومن خلالها فقط تكون الحماية والمدافعة، كما أن البشر يميلون إلى إقامة الملك ولإقامته يتطلب ذلك المنافسة والصراع ومن ثم الاقتتال حتى يحصل الملك، وهذا أمر طبيعي في البشر، وهذا بدوره يحتاج إلى العصبية لان الرئاسة في نظر ابن خلدون لا تكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية[2] والعصبية هي سبب مباشر لقيام الملك وهي سبب مباشر أيضا لانهيار ذلك الملك.

---

[1] ، عبد الرجمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار يعرب للطباعة والنشر،دمشق، ط1، 2004.ص 371

[2] زينب بومهدي، مفهوم العصبية ونشأة الدولة في الفكر الخلدوني، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 8، العدد1،2020، ص 8

تلعب العصبية أدوار كثيرة ومهمة في الحياة الاجتماعية، كما حددها ابن خلدون في العبارات التالية: وهي مستوحاة من المقدمة:

_ العصبية تحمل الأفراد على التناصر والتعاضد في المدافعة والحماية والمقاتلة، إنها ضرورية (في كل أمر يحمل الناس عليه، هن نبوة أو إقامة ملك أو دعوة، إذ بلوغ الغرض من ذلك كله إنما يتم بالقتال عليه، لما في طبائع البشر من الاستعصاء، ولابد في القتال من العصبية).

(الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية)

(الرئاسة لا تكون إلا بالتغلب، والتغلب يكون بالعصبية)

(إن العصبية بما تكون الحماية والمدافعة والمطالبة، وكل أمر يجتمع عليه)

(إن المطالبات كلها و المدافعات لا تتم إلا بالعصبية)

ويشرح ابن خلدون هذه الأمور والتأثيرات في عدة فصول من المقدمة، وأبرز ما تحدث عنه:

أولا: علاقة العصبية بالدولة.

ثانيا: علاقة العصبية بالدين

ثالثا: علاقة العصبية بالدولة

وعن علاقة الدولة بالعصبية يرى ابن خلدون بأن العصبية ضرورية لتأسيس الدولة من جهة (دور ايجابي)، وأنها قد تعرقل تأسيس الدولة من جهة أخرى (دور سلبي)، وأما شرح ذلك فيمكن القول بأن العصبية ضرورية لتأسيس الملك والدولة، غير أن الضرورة تنحصر في دور التأسي والتمهيد، وإذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبية للأسباب التالية:

(إن الملك هو غاية العصبية، وأنها إذا بلغت غايتها حصل للقبيلة الملك، وأما بالاستبداد آو بالمظاهرة، وان أعاقها عن بلوغ الغاية عوائق وقفت في مقامها)

(إن الدولة العامة في أولها، تكون غريبة على الناس، غير مألوفة لديهم، لذلك يصعب على النفوس الانقياد لها، إلا بقوة من الغلب)[3]

يفترض ابن خلدون إن الرياسة لا تكون إلا لأصحاب العصبية، وهذا صحيح، إلا انه يقرر في نفس الوقت إن الرياسة لا تكون إلا عن طريق الغلب، والغلب لابد له من عصبية قوية، فالتغلب شرط أساسي لوجود الرياسة، لان العصبية وحدها لا تكفي لتحديد الرياسة، لوجود منافسات شديدة، وعصبيات فرعية متزاحمة متنافرة تسعى كل واحدة منها للانفراد بالرياسة، والتفرد بالقوة، ولهذا فلابد لتكوين الرياسة من التغلب، ولا يمكن أن يتحقق التغلب إلا عن طريق العصبية، ولا نقصد بالعصبية النسبية وإنما يدخل فيها المعنى الأعم للعصبية، وهو عصبية الالتحام والتناصر والتعاضد

ولا يتحقق التغلب إلا بالعصبية، ولا تقوى العصبية إلا بالتغلب، وهكذا نجد أنفسنا أمام "معادلة جديدة" عصبية تقود إلى التغلب، تغلب يقوى العصبية وينميها، ويقودها من جديد إلى تغلب جديد، وتنمو في ظل التغلب الجديد العصبية، عن طريق الحلف والولاء والإلحاق والتناصر والتعاضد، والغلب أو التغلب المتوالي يؤدي حتما إلى تساقط العصبيات الصغيرة التي تذوب في ظل العصبية الغالبة.

والتغلب يحتاج إلى شجاعة، وأهل البداوة أكثر شجاعة من أهل الحضر، لان أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا أمر المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى وليهم وحاكمهم والحامية التي تولت حراستهم، بخلاف أهل البدو فهم أكثر حذرا ولا يكلون أمرهم إلى سواهم، ولا يثقون بغيرهم.[4]

وذلك لا يتم إلا بوجود عصبية قوية، ومع مرور الزمن تصبح الطاعة بالعادة.

أما وسائل الاستظهار فهي واحدة من ثلاث:

أ) الموالي والمصطنعين الذين نشأوا في ظل العصبة
ب) العصائب الخارجين عن النسب الداخلين في ولايته
ت) الجند المرتزقة المستخدمين بالأجرة.

---

[3] علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، نظرية العصبية قراءة معاصرة في مقدمة ابن خلدون، دورية كان التاريخية، السنة الرابعة، العدد 11، مارس 2011، ص 19.

[4] محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ص 164.

ولا يكتفي ابن خلدون بالقول أن الملك والدولة العامة إنما يحصلان بالقبيلة والعصبية بل يذهب إلى أن اتساع الدولة يكون متناسبا مع قوة تلك العصبة، إما الدور السلبي المعرقل للعصبية تجاه الدولة، يحدث إذا كانت الدولة متعددة ومتخالفة لأنه يقول في عنوان إحدى فصول المقدمة(أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب، قل أن تستحكم فيها دولة) ويعلل ذلك بقوله: (والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء، وان وراء كل رئي منها وهوى عصبية وتمانع دونها، فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت، وان كانت ذات عصبية، لان كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة) وهذا يعني إن كثرة العصائب والقبائل تؤدي إلى عدم الإذعان والانقياد للدولة، وبعكس ذلك يسهل انقيادها.[5]

طيلة المدة التي قضاها في بسكرة (6 سنوات) حيث ترحل مع البدو وتمكن من دراسة كل الروابط النفسية والاجتماعية والنفعية (دراسة ميدانية والتي تشكل الجهاز العصبي للقبيلة العربية والأمازيغية واستنتج بفهمه العبقري أن البداوة هي أصل الحضارة : فالقبيلة والمنتسبون إليها (بالمصاهرة) والموالون لها (بالحماية) تؤسس الدولة. وعمر هذه الدولة بصفة عامة لكيان قانوني وسياسي (قيادي) أجيال 40 × 3) أي 120 سنة، هو ثلاثة وهي تمر بثلاثة مراحل مثل الإنسان : الضعف (الطفولة) ثم القوة (الشباب)، ثم التلاشي (الهرم).

وتوصل عقل ابن خلدون إلى هذه الدلائل من خلال استنطاقه للنص الديني :

أ. تحديد الحيز الأربعيني من قوله تعالى : "حتى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً"

ب. تيه بني إسرائيل أربعين سنة في صحراء سيناء (عمر جيل واحد)

ج. نزول الوحي على محمد (صلى الله عليه وسلم) لما بلغ الأربعين سن الكمال العقلي) عمر شخص واحد (40 سنة) أي عمر الجيل

وعمر الدولة عنده لا يتعدى ثلاثة أجيال :

- **الجيل الأول :** جيل البداوة والخشونة والعصبية.

[5]علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، نظرية العصبية قراءة معاصرة في مقدمة ابن خلدون،مرجع سابق، ص 19.

– **الجيل الثاني:** جيل الملك وترف التمدن

الجيل الثالث : منغمس في التحضر واختفاء ملكة القهر نسيان الحماية والمطالبة والمدافعة وبداية انقراض الدولة بحلول العقب الرابع ولجوء الحاكم إلى الاستظهار" بأهل النجدة واستنكار الموالي" أي الاستعانة بالمرتزقة الأجانب لحماية ملكه من الانهيار.

فالعصبية هي القوة المحركة لنشأة الدولة (عصبية_ رئاسة – مُلك) وهذه العصبية تزداد قوة ونفوذاً إذا ارتبطت بعقيدة دينية، إذ يقول ابن خلدون : «إن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها ""[6] ، فهي تكاتف قبلي يتطور إلى مجتمع طبقي[7]، وذلك يتحقق من خلال حركة جدلية تمر بثلاث مراحل :

– مرحلة البداوة وهي مرحلة مساواة نسبية بين أفراد القبيلة.

مرحلة العمران الحضري (مرحلة التمايز الطبقي مرحلة تفتيت العصبية).

مرحلة التطور العمراني مرحلة تصفية العصبية.

وقد عالج ابن خلدون موضوع الدولة عبر "المقدمة " التاريخ الفصل 25 إلى الفصل 35 من الباب من الثالث وهو يرى أن وجود الدولة ضرورة سياسية ومجتمعية وذلك لتلبية حاجات الناس إلى الانتظام والتعايش في أمان أما الحكم فيها فهو يستند إلى مرجعية دينية (شرعية إلهية) أو حكم عقلي أو كلاهما معًا.

وأطوار الدولة كالإنسان يولد وينمو ويهرم ثلاثة:

–الطور التأسيسي.

طور احتكار السلطة (سلطة الحكم الاستبدادي).

– طور الخنوع والمسالمة الممثل في الإسراف والتبذير وحماية الغير.

---

[6] مقدمة ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص 138

[7] العقل والحضارة، عند ابن سينا وابن رشد وابن خلدون وايين عربي، احمد بشيري، منشورات ثالة، الجزائر، 2011، ص69,

وتختلف الدولة بين المشرق والمغرب من حيث كثرة العصبيات فيقول ابن خلدون : «قال ابن أبي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد موسى بن نصير فيما بعده، وهذا معنى ما ينقل عن عمران إفريقية معرفة القلوب أهلها إشارة إلى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على قدم الإذعان والانقياد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام

واعتبر ابن خلدون أن ماهية السياسة تبني مجموعة من القوانين من أجل رعاية أحوال الأمة ومنافعها وآدابها باعتبار الأمة بأنها كيان عرقي وسياسي وثقافي في نفس الوقت. ونظر إلى الاختلافات بين الشعوب في جميع الميادين مسألة إيجابية في إطار السعي لتنمية العلاقات الثقافية والاقتصادية والسياسية بين الشعوب.

و كان ابن خلدون يؤمن بأن : "الدين مؤسس فاعل في نشوء الحضارة" بحيث درس تاريخ الأمم وعايش قيام وسقوط عدة دول فقد أكد أن هناك العديد من المجتمعات البشرية تحيا بدون شرائع إلهية (أي مجتمعات وثنية وأنها تعتمد في حياتها الاجتماعية والسياسية على ما يلي : القوة والمنطق[8]

والدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها والسبب في ذلك حسب ابن خلدون، إن العصبية الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبة، والدعوة الدينية من غير عصبة لا تتم[9]

من خلال هذا يتضح لنا أن للعصبية دور كبير في الحياة الاجتماعية:

العصبية تساعد الأفراد على التكاتف والتعاضد والتعاون في الدفاع عن أنفسهم.

الملك يحصل ويكون بالتغلب، والتغلب يكون بالعصبية (الملك_الغلب_العصبية).

الرئاسة تكون بالغلب والغلب يكون بالعصبية (رئاسة_الغلب_العصبية).

العصبية مهم وضرورية للدعوة الدينية، فهي بغير العصبية لا تتم.

العصبية ضرورية لتأسيس الدولة والملك.

---

[8] العقل والحضارة، عند ابن سينا وابن رشد وابن خلدون وابن عربي، احمد بشيري،مرجع سابق، ص67-71,

[9] محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، مرجع سابق، ص 168.

قائمة المصادر والمراجع:

1_ عبد الرجمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار يعرب للطباعة والنشر،دمشق، ط1، 2004.

2_ زينب بومهدي، مفهوم العصبية ونشأة الدولة في الفكر الخلدوني، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد 8، العدد2020،1.

3_ علاء زهير عبد الجواد الرواشدة، نظرية العصبية قراءة معاصرة في مقدمة ابن خلدون، دورية كان التاريخية، السنة الرابعة، العدد 11، مارس 2011.

4_ محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 1998.

5_ العقل والحضارة، عند ابن سينا وابن رشد وابن خلدون وايبن عربي، احمد بشيري، منشورات ثالة، الجزائر، 2011.